مجلة آفاق لعلم الاجتماع

ISSN: 1112-8259 EISSN: 2600-6855

المجلد 12 العدد 2 / ديسمبر 2022 ص ص 18- 28

البيئة السكنية باعتبارها فضاء للتنشئة الاجتماعية ومصدر لظهور السلوك الإجرامي لدى الشباب

The residential environment as a space for socialization and a source of the emergence of criminal behavior among young people

د. سيد علي موسى*
جامعة البليدة2-لونيسي علي، الجزائر

أ.د. الطاهر سواكري
جامعة البليدة2-لونيسي علي، الجزائر

تاريخ الإرسال: 2022/01/21 تاريخ التقييم: 2022/01/22

تاريخ القبول: 2022/11/29

الملخص:

هدفت هذه الدراسة الميدانية لمعرفة الأسباب المؤدية بالشباب إلى ارتكاب العنف والجريمة في الأحياء السكنية الساخنة، استخدمنا تقنية المقابلة في جمع البيانات مع استعمال منهج دراسة الحالة وأداة تحليل مضمون لتحليل المقابلات.

وأشارت نتائج الدراسة إلى أن هذه الأحياء وما يميزها من خليط ثقافي واجتماعي واقتصادي متنوع ومتباين، بالإضافة إلى ما تعاني منه من نقائص في المرفق العام كلها عوامل ساهمت بنسبة معينة في دفع الشباب إلى ارتكاب العنف والسلوكيات الإجرامية في هذه الأحياء السكنية.

الكلمات المفتاحية: مرافق عامة، سلوكيات إجرامية، تباين ثقافي واجتماعي، نقائص، شباب.

Abstract:

The objective of this field study to find out the causes leading young people to commit violence and crime in hot residential neighborhoods, we used interview technology to collect data with the use of a case study approach and a Content Analysis tool to analyze interviews.

The results of the study indicated that these neighborhoods and their diverse cultural, social and economic mix, in addition to the shortcomings of the public facility, all contributed to a certain percentage of young people to commit violence and criminal behavior in these neighborhoods.

Keywords: Public facilities, Criminal behaviors, Cultural and social disparity, Shortcomings, Youth.

* موسى سيد علي، sidalimoussa5@gmail.com

1- مقدمة

يعد السكن من بين الحاجيات الضرورية للإنسان في المجتمع، وهو مظهر من المظاهر الحضارية التي تجسد خلفية ثقافية ونمطا معينا من الحياة الاجتماعية، كما أنه ذو أهمية بالغة لكل الأفراد، فإذا كانت حياة الأفراد تتأثر بغياب السكن فالمسكن بدوره يتأثر ويؤثر في الأفراد تبعا لحجمه وطبيعة البيئة التي يتواجد فيها، لذلك يجب أن يتلاءم المظهر الداخلي والخارجي للسكن قدر الإمكان لامتصاص الضغوطات النفسية وما ينتج عنها من سلوكيات عدوانية قد تتطور إلى سلوكيات إجرامية، وتتمحور إشكالية الدراسة هنا من خلال التساؤل العام: كيف تؤثر طبيعة الحياة الاجتماعية في الأحياء السكنية على الشباب وتدفعهم لممارسة الانحراف وامتهان السلوك الإجرامي؟.

جاءت هذه الدراسة الميدانية لتركز على جانب دقيق وفعال يتعلق بظاهرة العنف والجريمة عند الشباب داخل التجمعات السكنية الاجتماعية، حيث حضيت هذه الظاهرة باهتمام كبير من قبل الكثير من المداخل النظرية والمنهجية والمحاولات الميدانية (مدرسة شيكاغو) مثل دراسة علي بوعناقة (1987) الموسومة بعنوان "الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية والاجتماعية على الشباب"، والتي هدفت لتشخيص الواقع الفعلي لهذه الظاهرة قديما وحديثا، وفى هذا الصدد جاء اهتمامنا بهذا الموضوع بسبب تفشي العنف والجريمة بشكل واضح وعلني وكبير في مجتمعنا الجزائري مؤخرا(علي بوعناقة 1987). وقد حاولنا من خلال هذه الدراسة (أجريت بحي 5 جويلية بمدينة الأربعاء- ولاية البليدة) ربط الظاهرة بالبناء الاجتماعي والتنظيمي لهذه الأحياء التي أصبحت تعاني اليوم انهيارا في جانبها التنظيمي والاجتماعي والاقتصادي لقاطنيها، وهذا من خلال افتراض أن عدم التحضر من قبل السكان، وانتشار الشعور بالخوف بينهم، وغياب الضبط الاجتماعي في الحي السكني هي عوامل تساهم في انتشار السلوك الإجرامي بين الشباب في الأحياء السكنية، وقد استعنا في هذه الدراسة بمنهج دراسة الحالة، كما استخدمنا عدة تقنيات لجمع المعطيات من المبحوثين ومن مكان إجراء الدراسة هي الملاحظة، المقابلة، وتمثلت عينة الدراسة في عينة الكرة الثلجية وهذا لصعوبة وخصوصية الموضوع.

2- الحي السكني كفضاء للتنشئة الاجتماعية

تعد عملية التنشئة الاجتماعية من بين أهم العمليات الاجتماعية التي تهتم بالإنسان منذ طفولته والتي من خلالها تتشكل الملامح الأولى لشخصية الإنسان وهويته سواء بمؤسساتها الرسمية وغير الرسمية كالإعلام والأسرة والمؤسسات التربوية وجماعة الرفاق والبيئة السكنية.

والتنشئة الاجتماعية عملية تتميز بالاستمرارية في حياة الإنسان أي أنها لا تتعلق بمرحلة أو سن معين، بل هي مستمرة حتى مراحل متأخرة من حياة الفرد، كما أنها تتميز بالنمطية أي أنها تكيف نفسها تبعا لمتغيرات الزمان والمكان، فأساليب التنشئة الاجتماعية قديما ليست هي نفسها حديثا، والتنشئة الاجتماعية في الحي السكني الراقي تختلف عنها في الحي الفقير سواء عند الأطفال أو الشباب أو باقي الفئات العمرية الأخرى على حد سواء.

2-1- التنشئة الاجتماعية والبيئة السكنية

التنشئة لغويا من نشأ نشوءا نشأة، يقال نشأ الطفل شب وقرب من الإدراك، يقال نشأت في بني فلان أي ربيت فيهم وشببت بينهم(محمد علي، 1999، ص182). ويقال نشأه ورباه ونشأ الله السحابة رفعها، ويقال هو نشئ سوء أو من نشئ سوء والنشء جمع ناشئ.

والتنشئة الاجتماعية ترجمة لمصطلح "Socialization" في اللغة الإنجليزية والفرنسية، وكانت البدايات الأساسية لاستخدام هذا المفهوم ترجع إلى نهاية الثلاثينات وأوائل الأربعينات من القرن العشرين، وعلى الرغم من حداثة استخدام هذا المفهوم إلا أن اتساعه وتنوع مجالاته وأبعاده جعله يأخذ تعريفات عديدة ومختلفة عند الباحثين والدارسين والمهتمين بالتنشئة الاجتماعية تبعا لاختلاف خلفياتهم العلمية وتوجهاتهم النظرية أو تبعا لاختلاف الجانب الذي يدرس الباحث التنشئة من خلاله (مطوري، 2016/2015، ص15).

وقد عرَّف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية التنشئة الاجتماعية بأنها "العملية التي يتم بها انتقال الثقافة من جيل إلى جيل، والطريقة التي يتم بها تشكيل الأفراد منذ طفولتهم حتى يمكنهم العيش في مجتمع ذي ثقافة معينة، ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسة والمجتمع"(بدوي، 1977، ص130).

وعرفها قاموس علم الاجتماع بأنها "العملية الاجتماعية الأساسية التي يصبح الفرد عن طريقها مندمجا في جماعة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها ومعرفة دوره فيها، وهي عملية مستمرة مدى الحياة وضرورة لتكوين ذات الطفل وتطور مفهومه عن ذاته كشخص، وخاصة من خلال سلوك الآخرين واتجاهاتهم نحوه، وكذلك عن طريق تعلم كيفية أداء الأدوار الاجتماعية المختلفة الذي يؤدي بدوره إلى ظهور الذات الاجتماعية المميزة بالنمو السليم(غيث، 1997، ص271).

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن القول أن التنشئة الاجتماعية هي العملية التي من خلالها يكتسب الفرد أنماط السلوك ويتعلم من خلالها مختلف أشكال التفاعل والتطبيع الاجتماعي سواء في المجتمع ككل أو في بيئته السكنية أو الجماعة التي ينتمي إليها، بحيث يتحول من خلال صيرورة هذه العملية (التنشئة الاجتماعية) عبر مراحله العمرية من شخص بيولوجي يعتمد على غيره إلى شخص ناضج اجتماعيا يمتلك من المقومات ما يجعله يستطيع الاعتماد على نفسه ويتكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه ككل.

2-1-1- العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية

2-1-1-1- العوامل الداخلية

- الدين: يؤثر الدين بصورة كبيرة في عملية التنشئة الاجتماعية، وذلك بسبب اختلاف الأديان والطباع التي تنبع من كل دين، لذلك يحرص كل دين على تنشئة أفراده حسب المبادئ والأفكار التي يؤمن بها، ولكن المشاركة الدينية الأبوية هي الجزء الأكثر تأثيرا في التنشئة الاجتماعية الدينية من أقرانهم أو معتقداتهم الدينية(Vaidyanathan, B, 2011, SP).

فالدين هنا مرجعية للتنشئة الاجتماعية في ديننا الإسلامي، وبعد الفرد عن دينه من شأنه أن يبعده عن الطريق القويم والسوي، لأن الدين يعلم الفرد الصبر والتمسك بالأمل عندما تكون ظروفه قاسية وينهاه عما حرم الله ونهى عنه، وهي كلها مبادئ يتلقاها الفرد في أسرته وفي المسجد والمدرسة.

- الأسرة: الأسرة هي الوحدة الاجتماعية التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، فهي أول ما يقابل الإنسان، وهي التي تسهم وبشكل كبير في تكوين شخصية الطفل من خلال التفاعل والعلاقات بين الأفراد، لذلك فهي أولى العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية، ويؤثر حجم الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية وخاصة في أساليب ممارستها، ويعد حجم الأسرة عاملا من عوامل زيادة الرعاية المبذولة للطفل، أما الأسرة الكبيرة على عكس ذلك إذ يحدث فيها احتكاكات

واختلافات زواجية راجعة لوجوب التضحيات الشخصية والمالية(حسام ومصباح، 2001، ص34-38).

فالأسر التي تعاني من ضيق في المسكن بطبيعة الحال نجدها تعاني كذلك من غياب ثقافة الخصوصية داخل الأسرة وهو ما يخلف شعورا بالضغط والسخط وعدم الاستقرار داخل هذا النوع من الأسر، وهو ما يدفع أفراد هذه الأسر من الذكور إلى قضاء معظم أوقاتهم خارج المنزل أي في الحي أو الأحياء المجاورة مع جماعة الرفاق، وقد تكون هذه الجماعة منحرفة تتعاطى أنواع عديدة من السلوكيات المنحرفة، كما نجد شباب هذه الأسر يقضون ساعات متأخرة ليلا خارج المنزل وهو عامل أساسي ومؤثر بطريقة مباشرة على عملية التنشئة التي يتلقاها في الأسرة وبين ما يتعاطاه خارج المنزل مع الرفقاء، وهذا كله نتيجة لظروف السكن التي تعيش فيها الأسرة، في محاولة منه للهروب أو نسيان هذا الواقع الذي يعيش فيه.

- نوع العلاقات الأسرية: تؤثر العلاقات الأسرية في عملية التنشئة الاجتماعية لأن السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة وهذا يساعد على نمو الطفل بطريقة متكاملة ومتزنة(وزارة الشؤون الاجتماعية، 1988، ص172-173).

ونضرب مثالا هنا بنظرية الأنساق الاجتماعية، فمثلا الأسرة هي عبارة عن نسق يحتوي على عديد الأنساق الأخرى، تؤدي هذه الأنساق أدوارا معينة في الأسرة فالأب كنسق يؤدي دورا معينا والأم كذلك، والأبناء كذلك يؤدون أدوارا معينة داخل هذا النسق الكلي، هذه الأنساق والأدوار اختلال أحدها يسبب اختلالا بالنسبة للنسق الكلي، فغياب الأب أو الأم في الأسرة –نتيجة للطلاق أو الوفاة مثلا- يؤثر على الأنساق الأخرى، ومنه يمكن القول أن العلاقات التي تجمع الأفراد في الأسرة هي سبب مباشر يحدد استقرار الأسرة من عدمه ومنه تنعكس هذه النتيجة على بقية العمليات الأخرى في الأسرة الواحدة وعلى المجتمع ككل.

- الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة (Social class): تعد الطبقة الاجتماعية عاملا مهما في نمو الفرد، حيث تشكل وتضبط النظم التي تسهم في تشكيل شخصية الطفل، فالأسرة أهم محور في نقل الثقافة والقيم للطفل والتي تصبح جزءا جوهريا فيما بعد(نمر وسمارة، 1990، ص40-41).

- الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للأسرة: لقد أكدت العديد من الدراسات وجود ارتباط إيجابي بين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للطفل وبين الفرص المقدمة لنموه، والوضع الاقتصادي أحد العوامل المسئولة عن شخصية الطفل ونموه الاجتماعي(شريف، 2010، ص67-71). ويؤدي الوضع الاقتصادي المادي للأسرة دورا كبيرا على مستوى التنشئة الاجتماعية للأطفال، وذلك على مستوى النمو الجسدي والذكاء والنجاح المدرسي وأوضاع التكيف الاجتماعي، كما يؤثر هذا الجانب على الأفراد من الناحية الاقتصادية، بحث تدفع الحاجة الاقتصادية مثلا ببعض الشباب إلى تبني فرص غير مشروعة للحصول عليها انطلاقا من جملة أسباب من بينها على سبيل المثال: البطالة، غياب فرص العمل، ما يدفعهم مثلا إلى السرقة، وهذا ليس حكرا على الذكور فقط بل حتى الإناث، فمثلا عمالة الأطفال ظاهرة تعبر عن حاجة اقتصادية سواء لهؤلاء الأطفال أو بالنسبة لأسرهم، هذه المواقف وأنماط السلوك قد تشكل خطرا على التنشئة السليمة لهؤلاء.

- المستوى التعليمي والثقافي للأسرة: ويؤثر ذلك في مدى إدراك الأسرة لحاجات الطفل وكيفية إشباعها والأساليب التربوية المناسبة للتعامل مع الطفل، فعملية التنشئة تتطلب فهما مدروسا لإمكانات وحاجات الطفل ووعيا بدور الأب والأم، لذا يعد المستوى التعليمي عاملا مهما في العصر الحاضر من حيث التراكم المعرفي والانفتاح العالمي(علم والشربيني، 2015، ص26).

وأوضحت كثير من الدراسات أن الآباء الأقل تعليما أكثر ميلا لاستخدام أساليب القسوة والإهمال وأقل ميلا لاستخدام أساليب الشرح والتفسير مع أطفالهم(الكتاني، 2000، ص85).

وأكد برتراند راسل "أن الأبوين غير المتعلمين الذين لا يدركون حاجات ومطالب نمو الطفل والأساليب السوية لرعايته لا ينقصهما حسن النية والرغبة الصادقة في تقديم أفضل رعاية لأبنائهم، ولكنهما قد لا يقومان بواجبات الرعاية على الوجه المطلوب(الحوات، 1989، ص75).

2-1-1-2- العوامل الخارجية

- المؤسسات التعليمية: وتتمثل في دور الحضانة والمدارس والجامعات ومراكز التأهيل(علم الشربيني، 2015، ص26)، وتؤثر هذه المؤسسات في عملية التنشئة الاجتماعية بشكل إيجابي من خلال غرسها لمختلف القيم والمبادئ الأخلاقية والعلمية والثقافية في النفوس والعقول على حد سواء، مما يساهم في انتشار الوعي والسلوكيات الحضارية والتحلي بقيم التحضر مما ينعكس على صورة المجتمع ككل، فالإنسان الذي ينشأ على بذرة صالحة وفي بيئة صالحة تتوفر على مختلف الأجهزة والمؤسسات التي تساهم بدورها في تعليمه وتكوينه وتثقيفه والاهتمام باحتياجاته يستطيع المساهمة مستقبلا في عملية التنمية والبناء، ومنه يتجنب الجهل والغوص في مختلف الآفات الاجتماعية المدمرة له ولمحيطه الذي يعيش فيه، ومنه تساهم هذه المؤسسات على اختلاف أدوارها في عملية الرقي بالفرد وجعله فردا صالحا وفاعلا في المجتمع، لأن بناء المجتمعات هو في الحقيقة ينطلق من بناء الفرد.

- جماعة الرفاق: حيث الأصدقاء من المدرسة، الجامعة، النادي، الجيران، وجماعة الفكر والعقيدة والتنظيمات المختلفة، وتختلف أدوار هذه الجماعات تبعا لطبيعتها ونوعها ومبادئها، وما يمكن الإشارة إليه هنا هو أن هذه الجماعات بغض النظر عن نوعها ومجالها (دينية، ثقافية..) فإنها قد تمارس وتتبع طرق غير سوية لا يتقبلها المجتمع، ونضرب مثلا هنا: لجماعة ثقافية تساهم في نشر المغالطات لهدف ما، أو جماعة دينية ربما تمارس التطرف تحت شعار الوعي، كما أن جماعة الرفاق في الحي السكني لها نصيب كبير من خلال استقطابها لعدد كبير من الأفراد، وهذا لما تتميز به من تأثير رهيب على نفوسهم لظروف وأسباب كثيرة منها على سبيل الحصر التوافق في النمط الثقافي والاتجاهات والميول، التشابه في الحاجيات، التضامن بين أفرادها، تشابه الرؤى، التعاون، وغيرها من الصفات التي تجعل من جماعة الرفاق وجهة مفضلة للعديد من الشباب في الحي الواحد، هذه الجماعة التي نجدها مسئولة بشكل كبير عما يسود الحي من أجواء، سواء كانت إيجابية أو سلبية، وأنا هنا أشير إلى الجماعات السوية التي تساهم في ترقية الحي بالتعاون مع جمعيات مثلا، أو الجماعات المنحرفة الإجرامية التي تنشر الرعب والخوف بين قاطني الحي السكني، فمهما كان نوع الجماعة يبقى تأثيرها بالغا على الحي وينعكس بشكل كبير وواضح على نفسية السكان وتصوراتهم عن الحي وكذا المناخ العام له بشكل عام.

- دور العبادة: المسجد، الكنيسة، وهي مؤسسات دينية تساهم في الارتقاء بذات وتفكير الإنسان ليبلغ المرحلة السامية من التفكير الإنساني، وتقوم دور العبادة بتدعيم المؤسسات الأخرى من خلال غرسها للمبادئ السامية في الفرد منذ الصغر وذلك من خلال تغذية روحه من خلال قيامه ومحافظته على أداء الشعائر الدينية بانتظام طاعة لربه وحماية لنفسه من الانحراف والخروج عن الطرق والأخلاق الحميدة، مما يجعل منه مستقبلا شابا ورجلا ناضجا فكريا ودينيا وثقافيا يمكن التعويل عليه من خلال عملية التنمية والبناء لمجتمعه، سواء بتأسيس أسرة وإنجاب أفراد وتربيتهم تربية حسنة قائمة على ما تعلمه في مراحل حياته المختلفة، ومن هذا المنطلق يمكن القول أن لدور

العبادة بالغ الأثر في حماية الفرد من مختلف المخاطر والآفات الاجتماعية التي تحيط به سواء في المجتمع ككل أو في بيئته السكنية التي يعيش فيها.

- ثقافة المجتمع: لكل مجتمع ثقافته الخاصة المميزة له، والتي لها صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنه من الأفراد، لذلك فثقافة المجتمع تؤثر بشكل أساسي في التنشئة وفي صنع الشخصية القومية(علم والشربيني، 2015، ص27). هذه الثقافة تختلف من منطقة إلى منطقة إذ لا يمكن القول أن ثقافة المجتمع هي نفسها من ثقافة الحي التي يعيش فيه الفرد، لأن ظروف من يعيش في حي سكني يتوفر على كامل شروط الحياة الضرورية ليست هي نفسها ظروف من يعيش في حي لا توجد فيه أبسط شروط الحياة، ومن هنا يمكن القول أن ثقافة المجتمع لا تعكس بالضرورة ثقافة كل فرد من أفراده لأن الواقع يختلف من شخص إلى شخص ومن حي إلى حي، هذه الظروف والعوامل والفوارق هي التي تحدث الفرق من خلال ما أسميه الانفصال الثقافي، أي ظهور أنماط أو خلفيات ثقافية مضادة لثقافة المجتمع الأم، وهنا أقصد تلك الثقافة التي تنشأ في الأحياء السكنية التي يعيش فيها أفراد ظروفهم أقل ما يقال عنها أنها سيئة بالمقارنة مع أحياء سكنية راقية، يكرس هذا المعطى السوسيولوجي واقع اللاعدالة بوضوح من خلال الاهتمام بفئة اجتماعية على حساب فئة أخرى مما يساهم في ظهور تلك الثقافات والتوجهات المضادة نحو كل نظم المجتمع ومؤسساته، خاصة فئة الشباب التي تعتبر فئة حساسة انطلاقا من مرحلتها العمرية واحتياجاتها في هذه المرحلة والتي تقابل بالإهمال والتجاهل واللامبالاة أحيانا كثيرة، وهي معطيات مساهمة في تراكم الشعور بالتذمر والسخط، بالإضافة لكونها معطى مساهم في الاتجاه نحو تأسيس ثقافات وجماعات منحرفة وعصابات إجرامية لها نظرة عدوانية اتجاه المجتمع، ومنه يمكن القول أن ثقافة المجتمع لها تأثير بالغ في إحداث بعض الفوارق الاجتماعية بين الأفراد نتيجة لما تحتوي عليه من تناقض صارخ سواء من جانب ثقافة التسيير (سياسة الترحيل) أو تكريس مبدأ الجهوية في توزيع الثروة والرفاهية والمساواة في الفرص (ميرتون، اللامعيارية) والحق في العيش الكريم لأفراد المجتمع الواحد، هي كلها اعتبارات من الممكن جدا على سبيل الافتراض أن لها بالغ الأثر في جعل البيئة السكنية للأفراد وكرا للعصابات الإجرامية في المستقبل القريب، مما يؤثر مستقبلا على عملية التنشئة الاجتماعية للأجيال القادمة، وهذا من خلال توارث السلوك المنحرف السائد في الحي، بالإضافة إلى توارث مختلف التوجهات والأنماط الثقافية المضادة لكل ما يرمز لما هو اجتماعي.

- الوضع السياسي والاقتصادي للمجتمع: كلما كان المجتمع أكثر هدوءا واستقرارا كلما ساهم ذلك في بشكل إيجابي في التنشئة الاجتماعية، وكلما اكتنفته الفوضى وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي كان على العكس من ذلك(الشربيني، 2015، ص27).

فالوضع السياسي والاقتصادي لهما تأثير سحري على استقرار الفرد والأسرة على حد سواء، وعلى سبيل المثال: فالأسر التي مستواها الاقتصادي منخفض ولا تستطيع تلبية حاجيات أفرادها المختلفة قد يدفع بالأطفال مثلا إلى العمالة، ومنه التعود على لغة المال واللغة السوقية، تلك الأماكن التي يسودها التراجع في المستوى الأخلاقي والقيمي (الأسواق) وما يشوبها من ظواهر غير سوية مثل السرقة والغش والكذب في البيع والشراء.. قد يكسب الأطفال بعض القيم غير أخلاقية مما يؤثر على تنشئتهم السوية مستقبلا، فيحترفون الكذب والسرقة والكلام البذيء والثقافة الهابطة، كذلك الوضع السياسي للبلاد والذي يؤدي عدم استقراره إلى تراجع الوضع الأمني وانعكاس ذلك على أفراد المجتمع.

- وسائل الإعلام: والتي يقصد بها جميع المؤسسات الحكومية والأهلية التي تنشر الثقافة للجماهير ولها حدان، إحداهما نافع إذا ما استغل للفائدة والتثقيف والآخر ضار إذا ما أسيء استعمال هذه المؤسسات(الشربيني، 2015، ص27).

ويمكن تلخيص مفهوم عملية التنشئة الاجتماعية ودورها في حياة الفرد والمجتمع بأنها عملية تلقين وترسيخ للقيم والمبادئ وثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده وهذا عن طريق مؤسسات التنشئة الاجتماعية المختلفة الرسمية منها وغير الرسمية وهذا باستخدام آليات معينة، وقد يعيق المسار السليم والهادف لعملية التنشئة الاجتماعية عديد العوامل والمؤثرات (الداخلية والخارجية) نذكر منها على سبيل المثال المحيط (طبيعة الحي السكني وظروف السكن)، ثقافة المجتمع، العامل الاقتصادي، العامل السياسي..الخ.

2-1-2- بيئة السكن والتنشئة الاجتماعية

تعتبر البيئة التي يعيش فيها الفرد عنصرا هاما في تشكيل شخصيته واتجاهاته منذ الصغر، فهو من خلال مراحل نموه يتنقل عبر مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تلقنه وتعلمه وتكسبه مختلف أنماط السلوك وأشكال التطبيع الاجتماعي، كما قد يتعلم الفرد من خلال بعض الطرق والأساليب الأخرى مثل الملاحظة، المقارنة، الفهم، التقليد، والممارسة من خلال اللعب والاحتكاك مع أقرانه، مرورا بمرحلة الطفولة وصولا إلى مرحلة الشباب، فمهما كانت نوعية التنشئة الاجتماعية التي تعلمها الفرد في بيئته السكنية، إلا أننا لا يمكن النفي أنها في جزء منها ترجع لتأثير البيئة التي تحيط به وما تحتوي عليه من مظاهر وأنماط سلوكية وأشكال معمارية هندسية، قد تنعكس على شخصيته وسلوكه بطريقة أو بأخرى، وقد أجمع المعنيون في البحوث التربوية والنفسية على أن البيئة من أهم العوامل التي تعتمد عليها التربية، في تشكيل الشخصية، وإكسابه الغرائز والعادات، وهي مسئولة عن أي انحطاط أو تأخر للقيم التربوية، كما أن استقرارها وعدم اضطراب الأسرة لهما دور كبير في استقامة سلوكه ووداعته(فالح داهم، 2017، ص267).

2-2 - التجمع والجوار ودوره في التنشئة الاجتماعية

أدخل إن التجمع هو القاعدة التي تسير عليها الكائنات جميعا، سواء منها الحيوانية أو الإنسانية وهو العامل الهام الذي يعين الكائنات في التغلب على مصاعب الطبيعة وعلى التكيف بالبيئة والاستفادة منها إلى أقصى حد، ويبين جيدنز (Giddings) هذه الحقيقة في كتابه "مبادئ علم الاجتماع" فيقول إن درجة معينة من تجمع الكائنات وتجاورها شرط ضروري لتطور الحياة الاجتماعية فلكي يتم الاتصال والتعاون المتبادل وتنشأ الروابط المختلفة، يجب أن يكون هناك أولا تقارب وتجاور(السيد، 1988، ص19).

إن الميل للاجتماع هو الميل طبيعي امتلكه الإنسان منذ بدء الخليقة ومنذ أن وجد الإنسان على الأرض، ووجد معه ميله الطبيعي للالتقاء مع أبناء جنسه، وعليه فإن من يتأمل الحياة الاجتماعية تأملا كاملا موضوعيا يجد أنه لا غنى للكائنات الإنسانية إذا ما أرادت أن تبقى وتستمر عن وجود روابط إنسانية تجمع بينهما وتنظم حياتها(الغزوي وآخرون، 2018، ص172).

3-2 – لماذا التجمع والجوار؟

إن تجمع الأفراد وتجاورهم على شكل يكون لأسباب مختلفة، منها انتمائهم إلى أصل واحد أو اتخاذ أهدافهم وغايتهم التي يسعون إلى تحقيقها، واجتماعهم تكون حتما في حيز مكاني يؤدي فيه مختلف الأنشطة المنوطة بهم(جان مينو، 1971، ص12).

كما يرى ابن خلدون بأن الإنسان يسعى إلى التنازل والسكن في مكان، وهذه صفة متواترة في الإنسانية، حيث يعتبر أن هناك حالات بدائية وحالات حضارية لا تقتصر على الإنسان الفرد بل هي نابعة من ضرورة تعاونه مع أخيه الإنسان للنهوض بحالته الجديدة في بيئته التي تختلف دائما كيفا وكما، حيث تتراءى له كصورة وأشكال تختلف عما ألفه في موطنه الأول، فتزداد معرفته

بالأرض وما فيها، ولا سيما ما يلاقيه من تجارب تختلف عن تجربته في مجتمع سابق وهذا يعود إلى اختلاف المحيط والطبيعة وتجاوب الإنسان يكون لعوامل كثيرة قد تكون ذاتية أو مشتركة (محمد رعد، 1985، ص143).

كما تبرز عملية تجمع الأفراد لاعتبارات جنسية ومهنية وجغرافية، حين نلاحظ أن الأفراد يكونون تجمعات مع الأفراد من ذوي جنسهم أثناء هجرتهم من موطنهم الأصلي إلى مقر استقرارهم(جان مينو، 1971، ص12). في إطار هذا التجمع والتجاور تنشأ الروابط الاجتماعية بين الأفراد والجماعات بحيث "تجمع الأفراد بطريقة طبيعية تنشأ عنها تبادل المنفعة، ووجود علاقات بينهم فمجرد التجاور إذن لا يصح أن نطلق عليه اسم مجتمع، إلا إذا نتج عن هذا التجاور والمعيشة المشتركة صلات بين الأفراد وعلاقات متبادلة(السيد، 1988، ص20-21).

ومن هنا يتضح لنا أن بيئة السكن هي ليست فقط مجرد مجال جغرافي ونسيج عمراني فقط، بل هي في جوهرها ومضمونها أدق من هذا المعنى، حيث يفوق دورها وأهميتها مجرد النوم والسكن، حيث يمكن القول بأنها مكان له جانب روحي واجتماعي يجتمع ويلتقي فيه الأفراد ويتبادلون مختلف أنماط السلوك والتفكير والثقافة، ما يخلق بينهم الاندماج وروح التضامن ويضع بينهم أيضا القواعد وضوابط السلوك التي تمثلهم وتمثل ثقافتهم وتوجهاتهم الاجتماعية ومعتقداتهم الدينية، فيصبح الحي بهذا أداة من أدوات الضبط والتنشئة الاجتماعية، وأي محاولة لاختراق هذه القواعد تؤدي إلى معاقبة الجاني أو الخارج عن العرف العام، وهذا هو المغزى من التجمع الإنساني والجوار في البيئة السكنية.

3- المناهج المتبعة في الدراسة

تم الاستعانة في هذه الدراسة بالمنهج الوصفي، ويعرف المنهج الوصفي بأنه: "أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة(دويدي، 2000، ص183). ويرى آخرون أن المنهج الوصفي عبارة عن طريقة لوصف الموضوع المراد دراسته من خلال منهجية علمية صحيحة، وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها على أشكال رقمية معبرة يمكن تفسيرها(دويدي، 2000، ص183). كما تم الاعتماد أيضا على منهج دراسة الحالة، ويعتبر منهج دراسة الحالة منهجا متميزا يقوم أساسا على الاهتمام بدراسة الوحدات الاجتماعية بصفتها الكلية ثم النظر إلى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل الذي يحتويها أي أن منهج دراسة الحالة هو نوع من البحث المتعمق في فردية وحدة اجتماعية سواء كانت هذه الوحدة فردا أو أسرة أو قبيلة أو قرية أو نظاما أو مؤسسة اجتماعية أو غيرها(عوض صابر، 2002، ص96).

4- تقنيات جمع البيانات وعينة الدراسة

تم الاعتماد في هذه الدراسة على تقنيات بحث لجمع البيانات من المبحوثين هي تقنية الملاحظة التي رافقتني خلال مراحل البحث الميداني والجولة الاستطلاعية لمكان إجراء الدراسة، وقد مكنتني هذه التقنية من استخلاص مؤشرات ومعطيات استعنت بها لاحقا في تفسير بعض النتائج المحصلة، ويمكن القول أن للملاحظة دور لا يُستهان به في الحصول على معلومات قد لا يتحصل عليها الباحث بالطرق العلمية العادية، وهذا لعدة أسباب تتعلق عادة بالمبحوث أو بميدان الدراسة ومختلف الصعوبات المرافقة لعملية البحث والتقصي عن الحقائق، ومنه فقد كانت هذه التقنية مفيدة لنا خلال مراحل البحث، كما تم الاستعانة بتقنية المقابلة لأنها تتناسب وطبيعة الموضوع، بالإضافة إلى أنها تتماشى وتتلاءم مع منهج دراسة الحالة، وهذا من أجل الوصول إلى

معلومات أكثر دقة ونوعية، والتي تتعلق بالعوامل والأسباب الكامنة التي تدفع الشباب لممارسة السلوك الإجرامي في الأحياء السكنية الساخنة، كما يجب الإشارة إلى أننا اعتمدنا على لغة المبحوثين في كتابة محتوى الإجابة على أسئلة دليل المقابلة من طرفهم.

وقد تم الاعتماد على عينة الكرة الثلجية في هذه الدراسة، وهذا لصعوبة التقرب من المبحوثين لخطورتهم وعدم معرفتنا المسبقة بهم، قدر عدد المبحوثين 15 حالة يتراوح سنهم بين 18- 30 سنة، تمارس وتمتهن الجريمة والسلوك المنحرف في الحي السكني، وبعضهم لديه سوابق عدلية.

5- عرض النتائج ومناقشتها

يعد إقبال الشباب على ممارسة الجريمة بمختلف أنماطها في المجتمع ظاهرة اجتماعية لها أسبابها ودوافعها المختلفة، الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية وغيرها، فالإنسان كما سبق الذكر إبن بيئته، أي أنه يؤثر فيها ويتأثر بها وبإفرازاتها، والحي السكني من بين الأرضيات الخصبة التي تحفز على ظهور السلوك الإجرامي بين قاطنيه خاصة الشباب باعتبارهم الفئة الحساسة في المجتمع والتي تتأثر بمختلف التغيرات التي تطرأ سواء على بيئتهم التي يعيشون فيها أو مجتمعهم ككل، فالحي السكني الذي لا يتوفر على المرفق العام، والذي يعاني من سوء وتدني الخدمات المقدمة لسكانه، وانتشار البطالة بين سكانه، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي المتدني لسكانه، والذي يحتوي على ثقافات متعددة متنوعة من شأنه أن يكون نقمة على ساكنيه، وهذا لكونه يتوفر على مختلف العوامل ودوافع السخط والإحباط وظهور الثقافات الفرعية المنحرفة، وهي كلها محفزات تؤدي بطريقة أو بأخرى إلى ظهور وتفشي السلوك الإجرامي بين سكانه، أو ضد سكان مجاورين آخرين.

ومن خلال هذه الدراسة الميدانية لموضوع إجرام الشباب في الأحياء السكنية الساخنة توصلنا إلى أن هذا الموضوع هو من بين المواضيع المهمة جدا في مجتمعنا في الآونة الأخيرة، وهذا نتيجة لانتشار وتفشي هذه الظاهرة بشكل رهيب أكثر من ذي قبل، لدرجة إشارة السلطة السياسية لضرورة الاهتمام بهذا الموضوع وإعطائه حقه من الاهتمام والبحث العلمي لما أصبح يشكله السلوك الإجرامي لدى الشباب من رعب وخوف والشعور بعدم الأمن والأمان وعدم الاستقرار بين السكان في التجمعات السكنية على اختلاف صيغتها، فلم تعد هذه الظاهرة حكرا على الأحياء السكنية الجديدة، بل حتى الأحياء الشعبية المعروفة بغلبة العادات والتقاليد والضبط الاجتماعي غير الرسمي هي الأخرى نالت نسبتها من هذه الظاهرة بين أسوارها، ومن بين أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة هو أن السلوك غير الحضاري للسكان من شأنه أن يجعل من البيئة السكنية وكرا ومرتعا لممارسة السلوك الإجرامي وخلق العصابات الجانحة، وهذا ما توصلنا إليه من خلال فرضية الدراسة الأولى، حيث توصلنا إلى أن السلوكيات غير المتحضرة لها تأثير كبير في دفع الشباب إلى ممارسة وامتهان السلوك الإجرامي.

كما توصلنا من خلال هذه الدراسة أيضا إلى أن الحي الذي لا يشعر فيه السكان بالأمن من شأنه أن يكون مكانا مفضلا للعصابات الإجرامية لممارسة نشاطها المنحرف، فغياب الشعور بالأمن دليل على التفكك الاجتماعي بين أفراده وغياب سلطة ضبط (بنوعيه) السلوك، وهذا من شأنه أن يكون محفزا لتلك العصابات لتوسيع نطاقها وبسط نفوذها واستقطاب المزيد من المهمشين والعاطلين من الشباب بغية تقوية صفوفها للسيطرة على الحي وفرض منطقها ومحاولة تلبية احتياجات أعضائها بالطرق التي تراها هي مشروعة بعدما غابت السبل وزاد الإحباط وعدم المبالاة بهم.

كما توصلت الدراسة أيضا إلى أن تراجع أو غياب أو التراخي في سلطة الضبط الاجتماعي بنوعيه من شأنه أن يكون عاملا حاسما في ظهور أو تشكل أو انتشار السلوك الإجرامي بين الشباب، فمن خلال هذه الدراسة اتضح لنا أن الحي السكني الذي يتشكل من أسر تم ترحيلهم من بيئة سكنية معينة إلى بيئة سكنية أخرى يحتوي على العديد من نماذج التنشئة الأسرية والعديد من الأنماط الثقافية (بين المحافظ والمتفتح)، بالإضافة إلى الفوارق الاجتماعية بين السكان، فمن خلال هذه الدراسة اتضح لنا أن لهذه المؤشرات دور حاسم في التفكك الاجتماعي الموجود في الحي والذي من خلاله يأتي التراخي في الضبط كتحصيل حاصل في الحي، فتزيد الخلافات، وتظهر الاختلافات، ويظهر الرفض تارة والتصادم تارة أخرى، ويتطور السلوك من عنف لفظي إلى اعتداء جسدي، ومن التشابك بالأيدي إلى استعمال الأسلحة البيضاء ثم ينفلت الوضع ويغيب الضبط ويصبح السلوك العنيف أو الإجرامي سمة التعامل اليومي في الحي، وهذا بالتفاعل مع عدة معطيات أخرى تم التصريح بها من طرف الحالات المدروسة مثل: البطالة، الفراغ، عدم المبالاة بالسكان خاصة الشباب، غياب شبه كلي للمرفق العام على اختلاف وظائفه، سياسة الترحيل غير المدروسة والتي لا تراعى فيها أدنى الخصوصيات بين السكان، إلى غيرها من المتغيرات المسببة في استفحال السلوك الإجرامي بين الشباب في الأحياء السكنية.

- الخاتمة

من خلال النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة السوسيولوجية فقد تحققت جميع الفرضيات التي وجهت بحثنا هذا بحيث كان لمفهوم عدم تحضر السكان وخوفهم من المجرمين والتراخي في الضبط الاجتماعي داخل الحي الذي أجريت فيه الدراسة انعكاسات بليغة إن صح التعبير في ظهور والمبالغة في ارتكاب السلوك الإجرامي من طرف المنحرفين في الحي السكني، وتوصلت الدراسة أيضا أن البيئة السكنية التي تسودها الفوضى وسوء التنظيم وغياب المرفق العام غالبا ما تصبح مع مرور الوقت بيئة تحتضن الانحراف والجريمة وهذا من خلال الانطباع والتصور الذي تعطيه للفرد وهذا ما ينطبق مع ما جاءت به بعض المقاربات حول هذا الموضوع (اللاتمدن، النوافذ المهمشة، الإيكولوجيا)، بالإضافة إلى أن هذه الدراسة قد توصلت إلى أن التفكك الاجتماعي والتراخي في الضبط الاجتماعي بنوعيه (رسمي وغير رسمي) في الحي من العوامل المساهمة في ظهور السلوك الإجرامي لدى الشباب وهذا ما ينطبق أيضا مع المقاربات السوسيولوجية التي وظفناها في هذه الدراسة.

ومن جملة ما تم التوصل إليه من نتائج وعلى ضوئها يمكن القول أن ظاهرة الجريمة في المجتمع الجزائري لا تنحصر فقط في دور وتأثير البيئة السكنية فقط، بل هي ظاهرة لها عديد الأسباب الأخرى التي يتعلق بعضها على سبيل المثال بالخبرة أو روتين الحياة، أو بعبارة أخرى تتعلق بطبيعة التنشئة التي تلقاها هؤلاء المنحرفين أو المجرمين سابقا، ولكن تبقى ظروفها وأسبابها تختلف وتتشابه أحيانا (الجريمة)، كما يمكن دراسة هذه الظاهرة من عدة جوانب حتى نلم بدوافعها المختلفة.

- قائمة المراجع

- صالح، محمد علي .(1999). *سيكولوجية التنشئة الاجتماعية*، ب.ط، عمان، الأردن: دار الميسرة.
- مطوري، أسماء .(2016/2015). *مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في تنمية قيم التربية البيئية، المدرسة نموذجا، دراسة ميدانية بابتدائية البستان ولاية باتنة*، أطروحة مكملة لنيل شهادة

دكتوراه علوم في علم الاجتماع تخصص علم اجتماع البيئة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

- أحمد زكي، بدوي .(1977). معجم *مصطلحات العلوم الاجتماعية*، بيروت: مكتبة لبنان.
- عاطف، غيث .(1997). *قاموس علم الاجتماع*، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- Vaidyanathan, B.,. (2011). *Religious resources of differential returns?, early religious socialization and declining attendance in emerging adulthood*, journal for the scientific study of religion.
- حسام، عبد العزيز وعبد المعطي، مصباح. (2001). *الاتجاهات الوالدية في التنشئة كما يدركها الأبناء وعلاقتها بتأكيد الذات*، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، مصر.
- وزارة الشؤون الاجتماعية. (1988). *ندوة دور الأم في تنشئة الطفل*، ب.ط، الإدارة العامة للأسرة والطفولة.
- عصام، نمر وعزيز، سمارة.(1990). *الطفل والأسرة والمجتمع*، ب.ط، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- عبد القادر شريف.(2010). التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة، ب.ط، القاهرة: دار الفكر العربي.
- دينا علم أحمد، الشربيني .(2015). *أساليب التنشئة الاجتماعية الأسرية وعلاقتها ببعض القيم لدى طلاب المرحلة الإعدادية والثانوية، دراسة مقارنة بين الريف والحضر*، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإنسانية، قسم علم الاجتماع، فرع تفهنا الأشراف، مصر.
- فاطمة، الكتاني .(2000). *الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات لدى الأطفال*، ب.ط، عمان: دار الشرق للنشر والتوزيع.
- علي، الحوات .(1989). *رعاية الطفل المحروم*، بيروت: معهد الإنماء العربي.
- أحمد محمد فالح، داهم .(2017). أثر البيئة (الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية) في التنشئة الاجتماعية والتوافق النفسي لدى الطلبة في مرحلة المراهقة، مجلة العلوم التربوية، 25(4)، ج1، مصر، ص ص267- 298.
- السيد، محمد بدوي .(1988). *المجتمع والمشكلات الاجتماعية*، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- همي سليم، الغزوي وآخرون .(2018). *المدخل إلى علم الاجتماع*، ب.ط، عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- جان، مينو.(1971). *الجماعة الضاغطة*، ترجمة: بهيج شعبان، الجزائر: منشورات عويدات.
- سعيد، محمد رعد .(1985). *العمران في مقدمة ابن خلدون*، دمش، سوريا: طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- رجاء، وحيد دويدي .(2000). *البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارساته العلمية*، ط1، دمشق: دار الفكر المعاصر.
- فاطمة، عوض صابر وميرفت، خفاجة .(2002). *أسس ومبادئ البحث العلمي*، ط1، الإسكندرية: مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية.